الاشتقاق: أنواعه ومباحثه في دراسات علماء شبه القارة

د. عبدالماجد نديم

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية ، جامعة بنجاب، لاهور

CONTRIBUTIONS OF SUB CONTINENTAL SCHOLARS TO ARABIC DERIVATION

Abdul Majid Nadeem, PhD
Assistant Professor of Arabic
Department of Arabic, University of the Punjab, Lahore

Abstract

Derivation is the most important topic of Morphology of Linguistics of Arabic language. Owing to derivation, a language copes with the changing demands of the time as a living language and hence becomes a source of its soundness and comprehensiveness. And derivational changes in Arabic stand very high in the salient features of Arabic language. Its why, this topic has attracted the attention of linguists in all times. Scholars from the sub continent have also shown inclination towards this discussion. Some of them followed suit but other also presented philosophical ideas on the topic. This article is an effort to introduce the contributions of the sub continentals in the field of derivation and analyses them too. Three scholars namely Siddiq Hasan Khan Qinnoji, Karamt Husain Kantori and Syed Suleman Ashraf Bihari's works have been selected and focused in this regard.

Keywords:

Arabic Linguistics, Subcontinent, Jurji Zaydan, Siddiq Hasan Khan Qinnoji, Karamat Husain Kontori, Syed Suleman, Ashraf Bihari.

إن اللغات تنمو وتتّسع وتزداد ثروة في المفردات؛ لِتتمكّن بها من التعبير عن الحاجات الجديدة والأفكار المستحدثة ووسائل الحياة المتغيرة. وتتخذ اللغات في نموّها واتساعها وازدياد ثروة مفرداتها وسائل شتّى؛ من أحسنها وأروعها الاشتقاق الّذي به تثبت الصلاحية الداخلية للغة فتمتاز عن مثيلاتها. ونرى هذه الميزة في اللغة العربية جليّة عندما نقوم بدراستها مقارنة أو تقابلية باللغات الأخرى؛ فالاشتقاق من أكبر الميزات العربية الّتي أكسبتها حياةً طويلة وجعلتها راقية وانتشرت في العالم وسادت مدة طويلة وقاومت تحديات قاضية بقوّة منيعةٍ حتى لم تزل لغة حيّة ترزق.

إذا نظرنا إلى اشتقاق كلمة عربية من صيغ متعددة ولكل صيغة دلالة على معنى خاص، وقسناها بما يقابلها من كلمة أجنبية وما يشتق منها؛ كانت اللغة العربية أوفر نصيباً وأغنى حظّاً. وبهذا الفضل يعدّ الاشتقاق ميزان العربية، إذ به تعرف الأصول من كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه.(1) وبه «تُحدّد مادة الكلمة ونربطها بأخواتها وبالمجموعة التى تنتسب إليها، فلا يلتبس علينا الفرع بالأصل إن أدركنا عملية الاشتقاق كيف تكون؟».(2)

وبفضل الاشتقاق يجد محمد المبارك بين الطبيعة والعربية تشابهاً قوياً فيقول: «في الطبيعة أنواعٌ من الأجسام مختلفة يرجع اختلافها إلى اختلاف تركيب مادتها التي تتكون منها ومن هنا كذلك ينشأ ما بينها أحياناً من تشابه لاشتراكها في بعض الأجزاء أو العناصر والذرات المكونة لها كالمعادن والنباتات والحيوانات بأنواعها وأجزائها. وهي على كثرتها ترجع إلى عناصر بسيطة محدودة العدد وترجع هذه العناصر كذلك إلى وحدة يظهر اختلافها باختلاف تركيبها الذريّ. وكذلك اللغة العربية في اختلاف كلماتها التي تكاد لا تحصى ورجوع هذه الكلمات إلى عناصر محدودة ثابتة هي الحروف التي باختلاف تركيبها تنشأ أجناس الكلم أو أصولها وموادها وتختلف مفردات الأصل في العربية كما يختلف أفراد الجنس الواحد في الطبيعة».(3)

ويقول: «ولكل فرد من أفراد الجنس الواحد في الطبيعة ذاتية مع مشابهته لسائر أفراد الجنس وكذلك ألفاظ العربية فلكل لفظ ذاتية الخاصة على مشابهته لسائر الألفاظ المشتركة معه في الأصل أو في البناء والصيغة. وهذه

الذاتية ناشئة من حياة اللفظ وملابساته وتقلباته خلال العصور في مختلف المجالات والبيئات».(4)

ويجد المبارك أنّ الطبيعة تتّصف بصفات التسلسل والتوارث والمحافظة والتجديد في المادة وخصائص المادة وهكذا تتصف اللغة العربية بهذه الأوصاف في مادة حروفها وأصول معانيها؛ فيقول: «وفي الطبيعة تسلسل وتوارث سواء في المادة التي تتكرر في كل أفراد النوع الموجودين والذين سيولدون أو في خصائص المادة وروحها وجوهرها فتتوارث الخصائص والصفات والغرائز ويستمر النوع في أفراده. وكذلك اللغة العربية تستمر وتتوارث مادة حروفها أو أصول موادها كما تتوارث أصول معانيها. وفي الطبيعة محافظة وتجديد وكذلك في العربية محافظة على بعض العناصر الصوتية والمعنوية وتوليد وتجديد لمفردات جديدة ومعان جديدة من أصول المواد والمعاني الموروثة».(5)

هذا ما ذكره علماء العربية من أهمية الاشتقاق وامتياز اللغة العربية واختصاصها به، وأمّا عن ماهية الاشتقاق؛ ما هي فنتبيّن عنها من كلتا الجهتين: لغة واصطلاحاً.

الاشتقاق: مادته ((ش ق ق)) منه الشقّ: الصدع . ومنه الشق : النصف، كما في ((اتّقوا النار ولو بشق تمرة)) أى بنصف تمرة. واشتقاق الشئ: بنيانه من المرتجل. واشتقاق الكلام الأخذ فيه يمينا وشمالاً. و اشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه.(6) شق الشيء: صدعه، شق نهراً: حفره. شق الأرض: حرثها، شق عصا الجماعة: فرق كلمتها، اشتق الكلمة من غيرها: صاغها منها.(7)

اصطلاحاً: جاء في كتاب التعريفات للجرجاني: «هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة».(8) وكذا يعرّفه عبد القادر بن مصطفى المغربي في كتابه ''الاشتقاق والتعريب'' فيقول: «هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً وتغايرهما في الصيغة»، ثمّ يزيد فيقول: «أو يقال هو تحويل الأصل الواحد إلى صيغ مختلفة لتفيد ما لم يستفد بذلك الأصل : فمصدر (ضرب) يتحول إلى (ضَرَبَ) فيفيد حصول الحدث في الزمن الماضي وإلى (يضرب) فيفيد حصوله في المستقبل وهكذا»(9). وقال عبد السلام محمد هارون في تعريف الاشتقاق أنّه: «أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى».(10)

أنواع الاشتقاق

للاشتقاق أربعة أنواع؛ وهي: الاشتقاق الصغير، والاشتقاق الكبير والأكبر والاشتقاق الكبّار.

1. الاشتقاق الصغير وهو أيضاً يسمّى بالاشتقاق الصرفي ، وهو كما يقول عبد القادر بن مصطفى المغربي: وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب: مثل اشتقاق (ضرب) (يضرب) (اضرب) (ضارب) (مضروب) من مادة (الضرب). وهذا النوع من الاشتقاق هو الذي يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، لأنّه الأوسع دائرة، والأكثر نتاجاً.(11) وسمّاه الدكتور علي عبد الواحد وافي بـ ''العامّ'' ويقول: يرتبط كل أصل ثلاثيٍّ في اللغة العربية بمعنى عام وُضع له، فيتحقق هذا المعنى في كل كلمة توجد فيها الأصوات الثلاثة مرتبة حسب ترتيبها في الأصل الذي أخذت منه، فالمعنى العام لِلعِلم مثلاً وهو إدارك الشيء وظهوره ووضوحه يرتبط بأصوات العين واللام والميم، فيتحقق في كل كلمة توجد فيها هذه الأصوات الثلاثة مرتبة على هذه الصورة مهما تخللها أو سبقها أو لحقها من أصوات أخرى لينة أو ساكنة، فتتحقق في كلمات: عَلِمَ عَلِمْنا، أعلمُ نعلم، اعلمْ اعلمي ..، علَّم علّموا ..، يُعلِّمُ نُعَلِّمُ ..، تَعَلَّم تَعَلَّموا ..، تعالَم تعالموا ..، عُلِم يُعلَم ..، عِلْمٌ ، عَلَمٌ ، علامة ، معالم ، أعلام، علامات، عالم ، عليم ، عَلَّامة، علماء، عالمون، علوم ..، متعلِّم متعلَّم ..، مُعْلَم، مُعَلِّم، مُعَلَّم، معلوم .. عالَم عالمون .. وهلم جرا.(12) ويقول علي عبدالواحد وافي في توفّر هذا النّوع في اللغة العربية: «وعلى هذه الرابطة يقوم أكبر قسم من متن اللغة العربية ويطلق علماء الصرف اسم الاشتقاق على ناحية من نواحي هذه الرابطة، وهي الناحية التي تبدو فيما يسمونه بالمشتقات (أفعال الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة ..) ويطلق بعض الباحثين في فقه اللغة العربية على هذه الناحية نفسها اسم الاشتقاق الأصغر».(13)

كما ذكره السيوطي باسم ''الاشتقاق الأصغر''، وقد عقد في المزهر فصلاً عن الاشتقاق اعتمد في تحديده على تعريف شرح التسهيل، فقال: «الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى، ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة؛ ك (ضارب) من (ضرب)، و(حَذِرٌ) من (حَذِرَ) وطريق معرفته تقليبُ تصاريف الكلمة

حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالةَ اطراد أو حروفاً غالباً ك (ضرب) فإنه دال على مُطلق الضرب فقط أما (ضارب) و(مضروب) و(يَضْرب) و(اضْرب) فكلُّها أكثرُ دلالة وأكثرُ حروفاً، و(ضَرب) الماضي مساوٍ حروفاً وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتجُّ به».(14)

2. الاشتقاق الكبير: قلب بعض حروف الكلمة؛ مثل: (حمد) و(مدح). يقول فيه عبد القادر بن مصطفى المغربي: «وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب: مثل فعل (جَبَذَ) المشتق من مادة (الجذب) فإن الحروف في المشتق هي عينها في المشتق منه؛ المعنى فيهما متناسب. وإنما الفرق بينهما أن الباء في الأول قبل الذال على عكس الثاني . وهذا ما أرادوه بالقلب في هذا المقام».(15)

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي في تعريف ''الاشتقاق الكبير'': «ترتبط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطاً مطلقا غير مقيد بترتيب، فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبط بها كيفما اختلف ترتيب أصواتها».(16) فمثّل له بالأصوات: (ج ب ر)، و(ق س و)، و(ن ج د)، و(ر ك ب)، و(س ل م) .. وهلم جرا. فقال: «(ج ب ر) تدلّ على القوة والشدة كيفما اختلف ترتيبها في الكلمة، فيوجد هذا المعنى في جميع تراكيبها الستة وهي: (جبر) و (جرب) و (بجر) و(برج) و (رجب) و (ربج). ثم يوضّح أنّ المعنى الأصلي موجود في كل هذه التقاليب الستة فيقول في (جبر) جبرت العظم والفقير إذا قويتهما، و(الجبروت) القوة و(الجبر) الأخذ بالقهر والشدة، و(جرب) أنّه منه رجل مجرب إذا مارس الأمور فاشتدت شكيمته، ومنه (الجراب) لأنه يحفظ ما فيه والشيء إذا حفظ قوي واشتدّ، و(بجر) ومنه الأبجر وهو القوى السرة، و(برج) ومنه البُرج لقوته ومناعته، و(البَرَج) وهو نقاء بياض العين وصفاء سوادها ومن الواضح أن ذلك يكسبها قوة؛ و(رجب) ومنه رجبت الرجل إذا عظمته وقويت أمره، ومنه (رجب) لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، ومنه كذلك (الرُّجبة) وهو ما تسند إليه النخلة لتدعيمها وتقويتها، والترجيب وهو ضم أعذاق النخلة إلى سفاتها وشدها بالخوص..، و(ربج) ومنه (الرباجي) وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله فهو يعظم نفسه ويقوي أمره.(17)

وقال في أصوات (ق س و) أنّها «تدلّ على القوة والاجتماع، كيفما اختلف ترتيبها، فيوجد هذا المعنى في تراكيبها الخمسة المستعملة، وهي (قسو) ومنه القسوة وشدة القلب واجتماعه، و(قوس) ومنه القوس لشدتها واجتماع طرفيها، و(وقس) ومنه الوقس وهو ابتداء الجرب، لأنّه يجمع الجلد ويفلحه، و(وسق) ومنه الوسق للحمل وذلك لاجتماعه وشدته، ومنه كذلك (استوسق) الأمر أي اجتمع ﴿والليل وما وسق﴾ أي جمع، و(سوق) ومنه (السَّوق) لأنه استحثاث وجمع المسوق بعضه إلى بعض، ومنه كذلك (السُّوق) لما فيه من جمع واختلاط وشدّة».(18)

وعلى هذا النموذج مثّل لـ (ن ج د) و (ر ك ب) و (س ل م) ويقول في أصوات (ر ك ب) أنّها: «تدلّ على الإجهاد والمشقة، كيفما اختلف ترتيبها، فيوجد هذا المعنى في جميع تراكيبها الستة، وهي : (ركب) ركب الفرس وركب متن الأخطار وركبه الدين. تتضمن جميعها معنى الإجهاد والمشقة، و(كرب) كربه الأمر غمه وأحزنه، (كرب) الأرض قلبها ففيه معنى المشقة وبذل الجهد، و(برك) برك الجمل استناخ وفي ذلك مشقة وجهد، و(ربك) ربكه في الطين فارتبك إذا غرسه فيه فلم يستطع التخلص منه وفي ذلك جهد وإرغام، و(بكر) بكر بكور الغراب ، وبكر إلى الأمر، وبكر تبكيرا أسرع وبادر وفيه معنى الجهد والمشقة، و(كبر) كبر الأمر عظم، وفي كبر الشيء وجسامته إزعاج النفس ومشقة لها».(19)

أوّل من بحث في الاشتقاق الكبير ودرسه دراسة مستوفية ووضّحه بالأمثلة هو ابن جنّي، إذ جعله نوعين: فقال: «الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير»(20) بعد بيان الاشتقاق الصغير الّذي هو كان يطّلع عليه علماء اللغة العربية من قبل، ثمّ يعرّف بما سمّاه ''الاشتقاق الأكبر'' وذكره أيضاً بـ ''الاشتقاق الكبير'' ولم يحدّد تسمية دون تسمية إلّا أنّه فضل تسميته بـ ''الأكبر'' بجعلها عنواناً للباب والإكثار بذكرها، ولكنّ المتأخّرين آثروا تسميته بـ ''الاشتقاق الكبير'' وسمّوا ''الاشتقاق الأكبر'' نوعاً آخر سوف نذكره بعد تقديم آراء ابن جنّي في هذا الباب، ونحن فضّلنا ما آثره المتأخرون في هذا الباب.

يقول ابن جنّي في تعريف ''الاشتقاق الكبير'' مسمّياً إياه بـ ''الاشتقاق الأكبر'': «وأمّا الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد».(21)

ويقول: «فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرأه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في صرفه. نحو: سلم، ويسلم، ومسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم: اللديغ، أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة، وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته، وبقية الأصول غيره، كتركيب (ض ر ب) و(ج ل س) و(ز ب ل) على ما في أيدى الناس من ذلك. فهذا هو الاشتقاق الأصغر..وأمّا الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شئ من ذلك عنه رد بلطف الصفة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد».(22)

وذكر صاحب كشف الظنون(23) نقلا عن الرازى إن إجراء الاشتقاق الأكبر (يعني الاشتقاق الكبير) في الأصول الرباعية يقبل أربعة وعشرين انقلاباً، وعلى هذا القياس المركب من الحروف الخمسة.(24)

أوّل عالمٍ من قدّم ''الاشتقاق الكبير'' كنظرية ووضّحه توضيحاً بالأمثلة هو ابن جنّي كما سبق، ولكنّ أوّل من فطن إلى الروابط المعنوية الّتي توجد في هذا الاشتقاق هو الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ كما يقول الدكتور صبحي الصالح: «وقد فطن الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى سنة 175هـ) إلى هذه الروابط المعنوية في الاشتقاق الكبير كما فطن إليها قبل ابن جني أستاذه أبو علي الفارسي (المتوفى سنة 377هـ) إلا أنّ الذي توسع فيها وفي ضرب الأمثلة الموضحة لها هو ابن جني نفسه».(25)

ومن الجدير بالذّكر أنّ ''الاشتقاق الكبير'' لا يطّرد في جميع موادّ اللغة كما يقول ابن جنّي بعد تقديم الأمثلة منه: «واعلم أنّا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة كما لا ندّعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة بل إذا

كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه متعذّرا صعبا كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً وأعزَّ ملتمَسا».(26)

ونرى أنّ السّيوطي لا يعدّه نوعاً من الاشتقاق ولا معتمداً في اللغة، بل يحسبه بدعة ابن جنّي، فيقول: «وأمّا الأكبرُ فيحفظ فيه المادّة دون الهيئة فيجعل (ق و ل) و(و ل ق) و (و ق ل) و (ل ق و) وتقاليبها الستة بمعنى الخفّة والسرعة، وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جنى وكان شيخه أبو على الفارسى يأنس به يسيراً، وليس معتمداً في اللغة ولا يصحّ أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب، وإنما جعله أبو الفتح بيانا لقوة ساعده...».(27)

3. الاشتقاق الأكبر: وهو إقامة حرف مكان آخر في الكلمة، ويقول الدكتور صبحي الصالح في تعريفه: «ولقد اصطلحوا على أنّ الاشتقاق الأكبر هو ارتباط بعض المجموعات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطاً عاماً لا يتقيد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته. وحينئذ، متى وردت إحدى تلك المجموعات الصوتية على ترتيبها الأصلي فلا بد أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة، سواء احتفظت بأصواتها نفسها أم استعاضت عن هذه الأصوات أو بعضها بحروف أخر تقارب مخرجها الصوتي أو تتحد معها في جميع الصفات».

وقال تمثيلاً لتقارب المخرج الصوتي: «من ذلك تناوب اللام والرء في هديل الحمال وهديره، والقاف والكاف في كشَط الجلد وقشطه، والباء والميم في كبحت الفرس وكمحته ...».(28) وأمّا الأمثلة للاتفاق في الصفات فيقول: «تناوب الصاد والسين في سقر وصقر، وسراط وصراط، وساطع وصاطع، ومسقع ومصقع وهكذا».(29)

وقد فطن ابن جنّي هذا النوع ولكنّه ذكره في باب ''تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني'' وقال فيه:«هذا باب واسع من ذلك قول الله سبحانه ﴿إنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّا﴾ أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزاً، والهمزة أخت الهاء، فتقاربَ اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك، ومنه العَسف والأسف، والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسِف النفْس وينال منها والهمزة

أقوى من العين كما أن أسَف النفس أغلظ من التردّد بالعسْف. فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين».(30) وهكذا ذكر أمثلة أخرى.

ويتضح هذا النوع من الاشتقاق بتعريف الدكتور علي عبد الواحد وافي، إذ يقول: «ترتبط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطا غير مقيد بنفس الأصوات بل بنوعها العامّ وترتيبها فحسب».(31) ويقول الدكتور في مزيد توضيحه: «فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبطة به متى وردت مرتبة حسب ترتيبها في الأصل، سواء أبقيت الأصوات ذاتها أم استبدل بها، أو ببعضها أصوات أخرى متفقة معها في النوع، ونعني بالاتفاق في النوع أن يتقارب الصوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصفات ما عدا الإطباق».(32) ويضرب له الأمثلة قائلاً: «فمن أمثلة التقارب في المخرج تناوب الميم والنون في مثل امتقع لونه وانتقع؛ واللام والنون في مثل أسود حالك وحانك وفلان خامل الذكر وخامنه، والراء واللام في مثل هدر الحمام وهدل؛ والواو والميم في مثل أوشاج وأمشاج أي ضروب مختلفة متداخلة؛ والباء والميم في مثل ضربة لازب وضربة لازم،..وكشط الجلد وقشطه؛.. ومن أمثلة الاتفاق في الصفات ما عدا الإطباق تناوب الصاد والسين في مثل ساطع وصاطع، والصراط والسراط، وسخره في العمل وصخره، وخطيب مسقع ومصقع ..».(33)

ثمّ يشير إلى سبب هذا التقارب، فيقول: «ويرجع السبب في كثير من ظواهر هذا التناوب إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة، فمادة كشط مثلاً كانت تنطقها قريش بالكاف على حين أن أسدا وتميماً كانتا تنطقانها بالقاف».(34)

4. الاشتقاق الكبار: إنّ اللغويين المعاصرين قد توسعوا في الاشتقاق أكثر فتجاوزوا حتّى عدّوا ''النحت'' نوعاً من الاشتقاق وسمّوه بالاشتقاق الكبّار، ومنهم الأستاذ عبد الله أمين، ولكنّنا لا نرى من المتقدّمين أحداً يعتبره من أنواع الاشتقاق وكانت هذه الميزة شائعة في عصورهم، فعلى هذا الأساس قد أنكر بعض الباحثين اعتبار النحت وجاءوا بحجج أخرى، فنترك هذا البحث هنا ونتجاوز إلى مباحث أخرى في مجال ''الاشتقاق''.

نرى عند اللغويين مباحث أخرى كثيرة ضمن ''الاشتقاق'' فيعرضها الباحث هنا للاطلاع عليها؛ ومنها: هل ''الكلم'' أصل أو مشتق، ولهم فيها ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: الكلم كله أصل، هذا مذهب قليل من الباحثين القدماء الذين ينكرون وقوع الاشتقاق بأنواعه كافة.(35)

المذهب الثانى: كل الكلم مشتق. ذهب إليه قليل من اللغويين المتأخرين، ونسب هذا المذهب إلى سيبويه والزجاج(36)، ونجد أن هذا المذهب أيضا لا يخلو من الغلوّ.

المذهب الثالث: بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق، أكثر اللغويين القدماء كأبي عمرو بن العلاء والخليل وسيبويه وأبو الخطاب، وعيسى بن عمر، والأصمعى، وأبو زيد، وابن الأعرابي، والشيبانى وطائفة يذهبون إلى هذا الرأي(37)، وهذا هو الرأى المحفوظ من الإفراط والتفريط.

ومن مباحث ''الاشتقاق'' قضية حول ''أصل الاشتقاق'' قد تضاربت آراء علماء اللغة عن أصل الاشتقاق. ولهم فيها مذهبان؛ وهما:

– الفعل هو أصل الاشتقاق، لأن المصدر يجئ بعده في التصريف: نصر، ينصر، نصراً

– إن الأصل هو المصدر وهو مذهب البصريين والجمهور(38) لكونه بسيطاً لأنه يدل على الحدث فقط، بخلاف الفعل، فإنه يدل على الحدث والزمن.

وأمّا التأليفات في الاشتقاق فقد عني علماء اللغة بالتأليف في الاشتقاق من القديم إلى العصر الحاضر، ومن أبرز هؤلاء:

– أبو العباس الفضل بن محمد بن عامر الضبي ، المتوفي سنة 168م.

– أبو على محمد بن المستنير النحوى المعروف بقطرب، المتوفي سنة 206

– أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، المتوفي سنة 215

– أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، المتوفي سنة 215

– أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلى ، ابن أخت الأصمعى، المتوفي سنة 231

– أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهرى ، المتوفي سنة 253.

– أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد ، المتوفي سنة 285 .

– أبو اسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج ، المتوفي سنة 316 .

– أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد ، المتوفي سنة 321.
– أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادى ابن النحاس، المتوفي سنة338.
– أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه ، المتوفي سنة 347.
– أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه ، المتوفي سنة 370 .
– أبو الحسن على بن عيسى الرمانى ، المتوفي سنة 384 .
– أبو القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجى ، المتوفي سنة 415 .
– على بن محمد الخارزمى ، المتوفي سنة 560.

ومن المحدثين :

– نزهة الأحداق للقاضى محمد بن على الشوكانى، المتوفي سنة 1250 .
– العلم الخفاق من علم الاشتقاق ، للسيد محمد صديق حسن خان بهادر القنوجى، المتوفي سنة 1307
– الاشتقاق والتعريب ، للعلامة عبد القادر بن مصطفى المغربي، المتوفي سنة1376.
– كتاب الاشتقاق ، للأستاذ عبد الله أمين .

وأمّا من علماء شبه القارة فنجد منهم أعلاماً من العلماء أسهموا في موضوع الاشتقاق ومباحثه؛ ومن أبرزهم: السيد صديق حسن خان القنوجي (1832 – 1890م)، والعلامة كرامت حسين الكنتوري (1853/1852 – 1917/1916م) والسيد سليمان أشرف البهاري (1878 – 1939م)، وفيما يلي نذكر إسهامهم العلمي في هذا الموضوع.

السيد صديق حسن خان القنوجى:

هو أبو الطيّب محمد صدّيق خان بن حسن القنوجي، ينتهي نسبه إلى علي زين العابدين بن حسين السبط الأصغر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. من أبرز أعلام علماء شبه القارة، وله إسهام في نشر العلوم الدينية والعربية في شبه القارة، ولد سنةَ ألف ومائتين وثمانٍ وأربعين (1248هـ)من الهجرة، وتوفي سنة ألف وثلاث مائة وسبع من الهجرة (1307هـ). الموافقة 1890م. ودفن ببهوبال.(39)

له مصنّفات كثيرة ومنها ثلاثة كتب تتعلّق بصُلب اللغة، وهي: لف القماط، والبلغة في أصول اللغة، والعلم الخفاق من علم الاشتقاق.

وهذا الأخير ''العلم الخفّاق من علم الاشتقاق'' كتاب مستقل في الاشتقاق، كما هو ظاهر من اسمه. يبتدئ الكتاب بالخطبة ويقول في بيان فضيلة الاشتقاق والتعريف بالكتاب:«فهده نبذة شريفة وعدة لطيفة في علم الاشتقاق الذي هو من أنفس العلوم المتعلقة بلغة العرب على الاتفاق».(40)

ثمّ يبيّن سبب تأليف الكتاب قائلاً: «وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك، يعتني في بيانها بتمهيد المسالك، غير أن هذا المجموع على هذه الحالة لم يسبقني إليه سابق، ولا طرق سبيله قبلى طارق، حتى لم يفرده أهل العلم بالتصنيف، ولا دونوه على جهة الاستقلال بالتأليف، بل غاية ما وقفنا عليه، وانتهى عملنا إليه مباحث نزرة وفصول محتقرة... و أفردت هذا العلم في هذا المهرق والرقيم، ليمشي على منواله الناظرون في لغة العرب بالطبع المستقيم والقلب السليم فيقتدروا بذلك على رد بعض الكلم إلى بعض واستخراج بعضها من بعض على النمط القويم، وسميت هذا المختصر ''العلم الخفاق من علم الاشتقاق''».(41)

وقال معرّفا الاشتقاق: «الاشتقاق في اللغة يطلق على معانٍ»(42) جاء فيها بمختلف الأقوال المنقولة في تعريف هذا العلم؛ أوّلاً يأتي بتعريفه اللغوي نقلاً عن ''القاموس المحيط'' لمجد الدين الفيروز آبادي (816 أو 817هـ) فيقول: «قال في ''القاموس'': هو أخذ شِقّ الشيء، والأخذ في الكلام وفي الخُصُومة يميناً وشمالاً، وأخْذُ الكلمةِ من الكلمة».(43)

ثمّ ذكر تعريفه الاصطلاحي نقلاً عن الميداني بدون النسبة إليه، فيقول: «وفي الاصطلاح: أن تجدَ بين اللفظين تناسباً في المعنى والتركيب، فتَرُدّ أحدَهما إلى الآخر».(44) ثمّ ذكر تعريفاً آخر بكلمة ''قيل'' فقال: «وقيل هو أن تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجعله دالاعلى معنى يناسبه معنى».(45) وعلّق عليهما قائلاً: «وقيل الأول باعتبار العلم والثاني باعتبار العمل».(46) ثمّ ذكر تعريفين، بكلمة ''قيل'' – أيضاً – فقال: «وقيل: ردّ لفظ إلى آخر لمواقفته إياه في حروفه الأصلية ومناسبته له في المعنى، وقيل: ما وافق أصلاً بحروفه الأصول ومعنى بتغيير ما».(47) وعلّق على هذه التعريفات قائلاً: «وقد نُوقش كلُّ واحدٍ

من هذه الحدود بمُناقشات مدفوعة بدُفوعات. وهذه الحدود – وإن صحّ اعتبارها في بعض أنواع الاشتقاق – فإنّه لا يصحُّ في البعض الآخر».(48)

ونقل كلامه من كتابه ''السحاب المركوم في بيان أنواع الفنون وأسماء العلوم'' الذي ورد فيه حدُّ ''علم الاشتقاق'' وغايته والغرض منه نقلاً عن ''كشف الظنون''، والمعلوم أنّ هذا الكتاب المذكور للقنوجي هو عنوان الجزء الثاني من كتابه الشهير ''أبجد العلوم''، فيقول في حدّ الاشتقاق: «علمُ الاشتقاق: هو علمٌ باحثٌ عن كيفيّة خروج الكلم بعضها عن بعض بسبب مناسبةٍ بين المَخرج والخارج بالأصالة والفرعيّة باعتبار جوهرِها. والقيدُ الأخير يُخرج علمَ الصرف؛ إذ يُبحَث فيه أيضاً عن الأصالة والفرعيّة بين الكَلِم، لكن لا بحسب الجوهريّة، بل بحسب الهيئة؛ مثلاً يُبحث في الاشتقاق عن مناسبة نَهَقَ ونَعَق بحسب المادّة، وفي الصرف عن مناسبته بحسب الهيئة فقط. فامتاز أحدُهما عن الآخر، واندفع توَهُّمُ الاتحاد».(49) من خلال هذا البحث فرّق بين علم الصرف وعلم الاشتقاق.

وبعد ذلك يشير إلى كلٍّ من موضوع الاشتقاق ومبادئه ومسائله ودلائله والغرض منه وغايته، فيقول: «وموضوعه المفرداتُ من الحيثية المذكورة، ومباديه كثيرة منها قواعد مخارج الحروف، ومسائله القواعد التي يعرف منها أن الأصالة والفرعية بين المفردات بأي طريق تكون وبأي وجه تعلم، ودلائله مستنبطة من قواعد علم المخارج وتتبع مفردات ألفاظ العرب واستعمالاتها، والغرض منه تحصيل ملكة يعرف بها الانتساب على وجه الصواب، وغايته الاحتراز عن الخلل في الانتساب».(50)

وقد فرّق السيد صديق حسن خان بين العلوم الثلاثة: اللغة، والاشتقاق والصرف، نقلاً العبارة عن كشف الظنون: «واعلم أن مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة وانتساب البعض إلى البعض على وجه كليّ؛ إن كان في الجوهر فالاشتقاق، وإن كان في الهيئة فالصَّرف. فظهر الفرق بين العلوم الثلاثة، وأنّ الاشتقاق واسطة بينها، ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف، وتأخيره عن اللغة في التعليم».(51)

وثمّ ذكر تعريف الاشتقاق عند صاحب الفوائد الخاقانية، وأنواعه عند الإمام الرازي في تفسيره بما يتعلق بالاشتقاق، وهكذا ذكر حدّ الاشتقاق عند

السيد الشريف في كتابه ''تعريفات'' وعند التّهانوي في ''كشّاف اصطلاحات الفنون''.(52)

وأورد السيد صديق حسن خان شروطاً للمشتقّ اسماً كان أو فعلاً؛ وهي ثلاثة:

– أن يكون له أصل؛ فإنّ المشتقّ فرعٌ مأخوذٌ من لفظٍ آخر، ولو كان أصلاً في الوضع غير مأخوذٍ من غيره لم يكن مشتقّاً.

– أن يناسب المشتقُّ الأصلَ في الحروف؛ إذ الأصالةُ والفرعيَّةُ باعتبار الأخذ لا تتحقّقان بدون التناسب بينهما، والمعتبر المُناسبةُ في جميع الحروف الأصلية؛ فإنّ الاستسباق من السبق مثلاً يناسب الاستعجال من العجل في حروفه الزائدة والمعنى، وليس بمشتقّ منه بل من السّبق.

– المناسبةُ في المعنى سواء لم يتفقا فيه أو اتّفقا فيه.(53)

وذكر أنواع الاشتقاق الثلاثة: الصغير والكبير والأكبر، ولكنّه سمّاها على الترتيب بـ: الأصغر، والصغير والأكبر. أي سمّى الصغير بالأصغر، والكبير بالصغير والأكبر بالأكبر. وبيّن الفرق بينها قائلاً: «المُعتبر في الأصغر الترتيب، وفي الصغير عدمُ الترتيب، وفي الأكبر عدمُ الموافقة في جميع الحروف الأصول بل المناسبة فيها، فتكون الثلاثة أقساماً متباينة. وأيضاً المعتبر في الأصغر موافقة المشتق للأصل في معناه وفي الصغير والأكبر مناسبة فيه بأن يكون المعنيان متناسبين في الجملة».(54)

وهكذا جاء بمباحث أخرى مثلاً: الفرق بين الاشتقاق والعدل المانع من الصرف، واطّراد المشتق، وهل للغة العرب قياسٌ وهل يُشتقُّ بعض الكلام من بعضٍ أم لا؟، ومعرفة الأصل المشتقُّ منه، وأنواع التغييرات بين الأصل وفرعه، وتردّد الكلمة بين أصلين، وهكذا جاء في هذا الكتيّب الصغير بمباحث شتّى.

هذا كتيّب يحتوي حسب طبعه في المطبع للصديقي الواقع في بهوبال في شهر شوّال سنة 1296هـ. في 48 صفحة. وقد أصدرت دار البصائر (دمشق وبيروت) طبعته الأولى بتحقيق نذير محمد مكتبي في 1405هـ = 1985م. تحتوي هذه الطبعة المحققة 216 صفحة.

وبالإضافة إلى هذا الكتاب أورد السيد صديق حسن خان بعض المباحث حول الاشتقاق في كتابه الآخر ''البلغة في أصول اللغة'' إذ خصّص

المسألة الثالثة والعشرين من الباب الأوّل له حول ''أنواع اللغة''. اختصر فيه جميع المباحث حول الاشتقاق، يقول في هذه المسألة: «الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطرادا وحروفا غالبا كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط إما ضارب ومضروب ويضرب واضرب فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفا وضرب الماضى مساو حروفا وأكثر دلالة وكلها مشتركة في ض ر ب وفي هيئة تركيبها وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتج به».(55)

ويقول في الاشتقاق الكبير مسمّياً إياه بـ ''الأكبر'': «وأما الأكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة فيجعل ق و ل، و ل ق، و ق ل، ل ق و، تقاليبها الستة بمعنى الخفة والسرعة، وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني، وكان شيخه أبوعلي الفارسي يأنس به يسيراً و ليس معتمدا في اللغة ولا يصح ان يستنبط به اشتقاق في لغة العرب».(56) ومن العجيب أنّه يسمّيه هنا بـ ''الأكبر'' وقد سمّاه في ''العلم الخفّاق'' بـ ''الصغير''، كما مرّ. ولعلّ السبب هو أنّه نقل هنا عبارة السيوطي.(57)

ثمّ يشير إلى التغييرات الخمس عشرة بين الأصل المشتق منه والفرع المشتقّ، الّتي ذكرها السيوطي في المزهر، فيختصر كلامه بقوله: «التغييرات بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق خمسة عشر ذكرها السيوطي في المزهر وإذا ترددت الكلمة بين أصلين في الاشتقاق طلب الترجيح وله وجوه ذكرها في المزهر أيضاً وهي تسعة والأعلام غالبها منقول بخلاف أسماء الأجناس فلذلك قلّ أن يشتقّ اسم جنس لأنه أصل مرتجل قال بعضهم فإن صحّ فيه اشتقاق حمل عليه قيل ومنه غراب من الاغتراب، وجراد من الجَرْد».(58)

ثمّ يذكر الأصل في الاشتقاق؛ فيقول: «الأصل في الاشتقاق أن يكونَ من المصادر وأصدقُ ما يكون في الأفعال المزيدة والصفات منها وأسماء المصادر والزّمان والمكان ويغلبُ في العَلَم».(59)

ويقول مبينا الفرق بين الصرف والاشتقاق: « التصريف أعم من الاشتقاق لأن بناء مثل قردد من الضرب يسمّى تصريفا ولا يسمى اشتقاقاً لأنه خاص بما بنته العرب».(60)

وذكر هؤلاء الرجال الأعلام الّذين أفردوا الاشتقاق بالتأليف، فيقول: «وأفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة منهم: الأصمعي، وقطرب، وأبو الحسن الأخفش، وأبو نصر الباهلي، والمفضل بن سلمة، والمبرّ، وابن دريد، والزّجاج، وابن السراج، والرماني، والنحاس، وابن خالويه».(61)

ويختتم كلامه في هذه المسألة بقوله: «مما ينبغى أن يحذر كل الحذر أن يشتق من لغة العرب شئ من لغة العجم فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت وقد ألفت في ذلك كتاباً مفرداً».(62)

نرى أنّ السيد صديق حسن خان القنوجي قد اعتنى بعلم الاشتقاق عنايةً فائقةً إذ أفرده بالتّأليف، وبالإضافة إليه ذكر مباحثه في كتابين آخرين؛ وهما: ''البلغة في أصول اللغة'' و''السحاب المركوم في بيان أنواع الفنون وأسماء العلوم''.

كرامت حسين الكنتوري

العالم اللّغويّ الثّاني من علماء شبه القارة الّذي قد بحث عن الاشتقاق في كتابه هو الشيخ الفاضل كرامت حسين بن سراج حسين بن المفتي محمد قلي الحسينى الكنتوري، أحد العلماء المشهورين في العلوم العربية، ولد في سنة تسع وستين ومائتين وألف (1269هـ) ببلدة ((جهانسى)) كان مفرط الذكاء جيد القريحة، قوي الحفظ سريع الإدراک، وكثير الاشتغال بالتدريس والتصنيف، وشديد الانهماک بمطالعة الكتب، غير متعصب على مخالفيه، غير متصلب في المذهب، له مصنفات كثيرة ، منها كتابه الحقوق والفرائض ، وكتابه علم القانون ، وكتابه فى مبحث الهبة ثلاثتها بالإنكليزية وكتابه فقه اللسان بالعربية في ثلاثة مجلدات ، وكتابه في الأمور العامة بالعربية، وكتابه علم الأخلاق بالفارسى وبالأردو ، وكتابه الأفراد الكاسبة بالأردو، وكتابه الدين والكون بالأردو ، وله غير ذلک من الكتب والرَّسائل. مات بلكنو سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف (1335هـ).(63)

فقه اللّسان: كما صرّح المصنّف في الخاتمة أنّه بدأ بتصنيفه في سنة 1886 من الميلادية وختمه في سنة 1915 من الميلادية، طالت المدة لسبب

قصور الفرص الّتي أتيحت له للتصنيف، واستفاد في هذا الكتاب من استفادات أستاذه الذي كان يفتخر به هو السيد حامد حسين اللكنوي (1246 – 1306هـ).(64)

جاء الكتاب في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول يشتمل على المقدّمة والمقدّمة كما يعرّفها المصنّف في صفحة العنوان: «في بيان حدوث المصادر الأصلية من اللسان العربي بحكاية الأصوات وفيها نبذ من بيان الكون والفساد وشيوعه في الحيوانات والنباتات والمخترعات الإنسانية وتحتوي على مسائل عديدة من الحكمة وعلى مباحث نفيسة من العلة والمعلول».(65) وطبع ثانياً بمطبع نولكشور پريس الواقع في بلدة لكنو1915م.

وهذه المقدّمة تشتمل على خمسة وعشرين فصلاً، وأمّا الغرض منه فيقول فى المقدمة: «أريد أن أذكر في هذه الوجيزة، ماهية اللسان العربي. وحديث تكون مصادرها، وأن أنسب المصادر وأترجمها مميزا بين المصادر الأصلية والفرعية ، وبين المعاني الحقيقية للمصادر ومشتقاتها والمعاني المجازية لها، باحثاً عن أسباب صورة المصادر الأصلية بصورة المصادر الفرعية، وعن علاقات نقلت المصادر والمشتقات من المعاني الحقيقية إلى المجازية ، والفرض من البحث ردّ كثير من الكلمات المنثورة إلى قليل من المصادر الأصلية، وجعل الوضع أمراً عقليا ، ليهون على طلاب العربية خطبها ويحلى لهم كسبها والخوض في المقصود يدعو إلى تقرير فصول.

من الناس من زعم أن الخوض في نسب المصادر عبث لايسمن ولايغني من جوع، وإن الولوج في مدلهماتها لابد فيه من رجوع ، فإياک وإياه فإنه قد ضل عن سواء السبيل ، وتاه في فيافي الغيّ من غير دليل ، استبدل بالعلم جهالة ورسب في ضلالة فوقها ضلالة. أولم يأته أن القرآن عربي وأن محمداً وآله وأصحابه الطاهرين عربي وإن معرفة ما قاله الله وقاله رسوله حتم مقضى ، وكيف السبيل إلى تلک المعرفة مع الجهل بالمعان الأصلية، والفرعية؛ والحقيقية والمجازية؛ وبالعلاقات الناقلة من معنى إلى آخر، إن كان العلم بالاشتقاق الصغير مكتوباً فكيف لايكون العلم بالاشتقاق الكبير مفروضاً...».(66) ويزيد كلامه في فضيلة الاشتقاق الكبير، فيقول: «.. تجد أنّ العلم بالاشتقاق الكبير من أشرف

العلوم التي بها يميز العارف به بين الخطأ والصواب في بيان معنى الحديث والكتاب».(67)

وقد خصّص الشيخ الفاضل ثلاثة فصول من مجموع خمسة وعشرين فصلاً في هذا الكتاب بالاشتقاق، وهي: فصل في بيان التغييرات الطارئة على المصدر الأصلي، وفصل في الاشتقاق اللغوي الذي به يصير المصدر الأصلي رباعياً وخماسياً، وفصل في أن الاشتقاق اللغوي لا قياس فيه وأن المشتقات اللغوية لا تكون على أوزان موضوعة(68)؛ وفيما يلي نلخص ونحلّل آراءه في مباحث الاشتقاق.

يقول في تعريف الاشتقاق: «اعلم أنّ المادة الأولى إذاتصورت بصورة المصدر الأصلي لا ينتهي تكونها بل يسير المصدر الأصلي في درجات من التغير الصوري الّذي يعدّ اشتقاقاً».(69) الشيخ الفاضل كرامت حسين مبدع في هذا التعريف الّذي يترشّح بالأسلوب الفلسفيّ. هذا التعريف يدلّ على أنّه يرى أن المصدر هو أصل الاشتقاق، والاشتقاق تغير صوريّ، وللتغيّر الصوري درجات.

ثمّ يقسّم الاشتقاق إلى قسمين: الاشتقاق اللغوي والاشتقاق الصرفيّ، الاشتقاق اللغوي عنده هو جامع للاشتقاقين: الكبير والأكبر وأمّا الاشتقاق الّذي هو سمّاه بالاشتقاق الصرفي هو الاشتقاق الصغير. فيقول في بيان هذين النوعين: «وهو [أي الاشتقاق] على نوعين: الاشتقاق الكبير أو اللغوي والاشتقاق الصغير أو الصرفيّ ويظهر الأوّل في المصادر الأصلية للاختلافات الفطرية الموجودة في المتكلمين والسامعين من غير قصد لأن يتغير اللفظ أو أن يدل التغير في اللفظ على تغير في معناه وحيث يحدث هذا التغير من غير إرادة ولا قصد ومن غير أن يكون دليلا على تغير في معنى اللفظ لا سبيل إلى ردّه إلى قاعدة أو أصل غاية؛ ما يمكن في الباب هو جمع أمثال هذا التغير بالاستقراء والتتبّع».(70) في هذا التعريف يشترط على تغير المعنى كما اشترط على تغير الصورة، وهنالك شرط آخر في الاشتقاق اللغوي [كما بيّنّا أن الشيخ في هذا الاصطلاح جمع بين الاشتقاقين؛ وهما: الكبير والأكبر] أنّه يحدث هذا التغير من غير إرادة ولا قصد ومن غير أن يكون دليلاً على تغير في معنى اللفظ.

ثمّ يشرع في تقسيم الاشتقاق اللغوي فيقسّمه إلى قسمين: البدل والقلب. وفي تعريف الأوّل يقول: «من التغير اللغوي: التغير في حروف اللفظ من

غير تغير في ترتيبها ويسمى بدلاً وهو شائع».(71) ويرى كرامت حسين الكنتوري أنّ هذا النوع من الاشتقاق شائع في جميع الألسنة وفي العربية أشدّ شيوعاً، ويبيّن أنّ السّبب وراء هذا الشيوع المفضي في اللغة العربية هو اختلاط شتّى القبائل العربية الّتي تكلمت بالعربية لآلاف آلاف من السنين ولم يكن لأهلها خط يضبط حروف الكلمات وترتيبها في كلمة واحدة، وهي من الحقائق الفطرية أنّ المتكلم إذا تلفظ الصوت الحاكي يسمعه المخاطب مغايراً لما قال القائل.(72) ويقول تمثيلاً: «قد يقول أحدنا ''سل'' فيسمع السامع أنه قال ''سن'' والسامع الثاني أنه قال ''زل'' وهذا التفاوت في الأسماع يفضي إلى البدل في حروف الألفاظ الحاكية».(73)

وبعد ذلك جاء بأمثلة البدل في العربية؛ مثل: آتاه وأعطاه وأنطاه؛ فيه بدل العين بالألف وأيضاً بالنون، وتصأصأ وتصعصع وتثأثأ وتزأ زأ، والتراكب والتراكم ، وابنعج السحاب ابنعق، وخمر وغمر أي غطى ومنه غفر وكفر. وهكذا جاء بأمثلة كثيرة جداً.(74)

بعد أن أكثر في إيراد أمثلة البدل في العربية جاء بنوعٍ للبدل فقال: «اعلم أن البدل ليس بمختص بالعربية بل هو شائع في الألسنة الكثيرة من السامية واليافثية ويتوسع فيه إذا سار لفظ من لسان إلى لسان آخر مثلاً من العربية إلى السريانية أو العبرانية أو بالعكس».(75) وضرب له أمثلة فقال: «أضرب لك أمثالاً من الكلمات العبرانية والسريانية مقتصرا على الحروف منها ومعرضاً عن حركات تلك الحروف لأن الحركات العبرانية والسريانية يعسر تعبيرها في العربية».(76) ومن هذه الأمثلة:

ازل في العبرانية عزل في السريانية عزل في العربية.

ربرب في العبرانية رورب في السريانية، أي العظيم.

زمن في العبرانية زبن في السريانية.

كديس في العبرانية جدس و كديس في العربية، أي الحب المحصود المجموع.

كبريت عبراني كفريت سرياني كبريت عربي.

كبع في العبرانية قبع في العربية.

كد في العبرانية جد و قد في العربية.

بوس في العبرانية بهث في السريانية، أي خجل.

دور في العبرانية دهر في العربية.
روص في العبرانية رهس في السريانية، أي العدو.
زبح في العبرانية ذبح في العربية.
زرع في العبرانية ذرع في العربية.
حلق في العبرانية خلق في العربية.
حبل في العربية خبل في العربية.
قطل في العبرانية قتل في العربية.
صلم في العبرانية صنم في العربية.
سرسرة في العبرانية سلسلة في العربية والكلدانية.
قرب في العبرانية قلب في العربية، بمعنى الوسط.
گوگلة في العبرانية جمجمة في العربية.
حلص في العبرانية خلص و خلع في العربية.
رشم في العبرانية رسم في العربية، بمعنى الكتابة.
شلج في العبرانية ثلج في العربية، تلك في السريانية.
شول في العبرانية ذبل في العربية.
و ركش في العبرانية ركض في العربية.

ومن خلال هذا البحث أتى بشيء من ترجمة كتاب ''غسنيوس'' لإشعار بشيوع بدل الحروف الأصلية في العبرانية بعينها وفي ألفاظ توجد فيها وفي العربية، وهكذا نقل من قول يوسف داوود الموصلي في ''اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية'' الباب السادس في طبع الحروف السريانية، أنّ مبادلة الحروف بين العربية والسريانية شائعة.(77)

بعد البحث الطويل في ''البدل'' يشرع في ''القلب'' كنوعٍ ثانٍ من الاشتقاق اللغويّ، فيقول: «التغير الثاني من التغيرات الصورية في اللغات هو القلب أي انتقال حرف من مقامه في لغة إلى مقام آخر؛ يصير فاء الكلمة عينها مثلاً أو عين الكلمة لامها».(78) هذا هو الاشتقاق الكبير؛ كما ذكرنا في بداية المبحث.

ويقول في سبب هذا التغير: «ولعل الداعي إلى هذا التغير هو مبادرة الحافظة إلى ذكر ما هو حديث العهد من الصوت المخزون فيها ويكثر القلب في

الألفاظ التي لا يعرفها السامع لأن الألفاظ التي سمعها السامع مراراً كثيرة تحفظ الحافظة ترتيب حروفها كما تحفظ جملتها والمعنى المراد منها وإنّي قد وجدت العوام كثيراً ما يقلبون ترتيب الحروف في ألفاظ غريبة إذا سمعوها أول مرة».(79) أمّا عن وجودها في كلمات العرب فيقول: «القلب في كلمات العرب شائع مثل البدل».(80) ثمّ أورد أمثلة؛ ومنها:

المألكة الملأكة (الرسالة)، بضا بالمكان باض (أي أقام)، علفط الشيء عفطله، البعض البضعة، اعتامه اعتماه، السهوق والسوهق (الريح الشديدة)، الخشاف والخفاش، بغج الماء غبجه، التوعيق التعويق، طمس الطريق طسم، النمس ريح اللبن كالنسم.(81)

وفي ختام هذا الفصل يعرّف بالاشتقاق الصرفي أي اللاشتقاق الصغير، فيعدّه من مميّزات اللغات السامية الّتي تفوق فيه اللغة العربية؛ فيقول: «من التغيرات الصورية في المصدر التغير الصرفي أو الاشتقاق الصغير وتخالف العربية في هذا الباب الألسنة اليافثية مخالفة عظيمة تصاغ المشتقات الصرفية في اليافثيات بإضافة ما له معنى في نفسه أو ما كان له معنى في نفسه فيما مضى فزال عنه لعدم استعماله وحده لذلك المعنى وانفكاكه منه واستعماله في الإعانة على الصوغ قبل المصدر أو بعده بدون أن يغير المصدر ويدخل في حروفه شيء من الحروف وتصاغ المشتقات الصرفية في العربية تبدل حركات حروف المصدر كما في الضَّرب وضَرَبَ وضُرِبَ وبإضافة الحروف إلى المصدر كضربة ومضرب وبإضافة الحروف وإدخالها فيما بين حروف المصدر كمضروب ومضراب ومضطرب وتضارب».(82) هذا ما جاء به الكنتوري بتوضيح ''الاشتقاق الصغير'' وإدراجه بميزة العربية مخالفة فيها الألسنة اليافثية، في هذا التوضيح المذكور لي إشكال وتعليقات نقدية، ولأنّ موضوع هذا البحث لا يتحمّلها فأتركها لأبحاث قادمة، إن شاء الله.

وفي الفصل الحادي والعشرين من هذا الكتاب ''فقه اللسان'' بحث في الاشتقاق اللغوي الّذي به يصير المصدر الأصلي رباعياً وخماسياً والمزيد فيه منهما، وذكر فيه أنّ المادة الأولى بعد تصورها في صورة المصدر الأولى يكون محلاً للاشتقاق اللغوي بالبدل وبالقلب، ومحلا للاشتقاق الصرفي بحصول الصيغ المختلفة. وثمّ ذكر أنّه يكون محلاً لنوع آخر من الاشتقاق اللغوي الّذي به يصير

متصوراً صورة الخماسي والرباعي والمزيد فيه منهما، وجاء بالتفصيل في هذه المسألة وأمثلة من اللغة العربية واللغات الأخرى، وشكا أنّ النحاة لم يعتنوا بـ ''الاشتقاق اللغوي'' كما اعتنوا بـ ''الاشتقاق الصرفي'' بل اتخذوه وراءهم ظهريا وذهلوه حتى جعلوه نسياً منسياً. وفي هذا الفصل مطالب، وهي: القائل بالكون في المخترعات مضطر إلى القول بأن الأبسط من الأبنية أصل والباقي فرعه، أمثلة حصول الرباعي والخماسي من الثلاثي، ونسب بعث وفروعه، ونسب الهرشفة، ونسب الدلهمس وما من قبيله، والمعربات.(83)

وفي الفصل القادم، الثاني والعشرين يبيّن أنّ الاشتقاق اللغوي لا قياس فيه، فالمشتقات اللغوية لا تكون على أوازان موضوعة. يشتمل هذا الفصل على مطلبين؛ وهما: أمثلة الكمات الموزونة بأوزان عديدة، أصول العلاقات التي بها ينتقل اللفظ من الحقيقة إلى المجاز(84)، وهكذا ينهي الكلام حول الاشتقاق ويتجاوز إلى موضوعات أخرى.

السيد سليمان أشرف البهارى

هو السيد سليمان أشرف البهارى ولد في سنة 1878م. في أسرة السادات بقرية مير داد من مقاطعة بهار. وكان والده حكيم السيد محمد عبدالله من مشايخ الطريقة.

وكان السيد سليمان أشرف البهاري لم يزل مشتغلاً بالعلم والعلماء، ويتحوّل من مكان إلى مكان حتّى استقرّ به المقام في جونبور وتتلمذ على العلاّمة محمد هداية الله خان الجونبوري (ت 1908م) ثمّ اشتغل بالتدريس عنده حتّى قرأ وأكمل الكتب الدراسية النهائية للعلوم الإسلامية والفلسفة والمنطق، وإلى حين وفاة الأستاذ مكث عنده.(85)

وبعد وفاة أستاذه هداية الله خان عُيِّنَ السيد سليمان أشرف البهاري محاضراً للدراسات الإسلامية بـ ايم او علي كره. وكان السيد سليمان البهاري وجيها ووقورا، وكان حنفيا في الفقه وتششتيا نظاميا في التصوف.(86)

وكان له مؤلفات كثيرة، وقد ألف حوالي اثني عشر كتابا في الموضوعات المختلفة، ولكنّ الكتاب الّذي يعتني بالمباحث اللغوية والاشتقاق فهو ''المبين''.

فظهرت لي أربع طبعات له: الطبعة الأولى في 1929م من مطبعة جامعة مسلم علي كره، والطبعة الثانية في 1978 من المكتبة القادرية بلاهور، والطبعة الثالثة في سنة 1988 من المجمع الإسلامي بمباركفور، والطبعة الرّابعة في سنة 2008 من دار الإسلام، لاهور.

وسبب تأليف هذا الكتاب كتاب جرجي زيدان (1861 – 1914م) ''فلسفة اللغة العربية'' الّذي جاء فيه بآراء خاطئة فجاء السيد سليمان أشرف بهاري بهذا الكتاب للردّ عليه. يشتمل على سبعة أبواب وخاتمة بسيطة وموجزة، وكلّ باب يشتمل على مباحث ومطالب؛ وأمّا الأبواب الّتي تعنينا هنا؛ هي: الباب الثالث والباب الرابع والباب السادس.

هو يبحث في كتابه ''المبين'' الاشتقاق وأقسامه الثلاثة: الاشتقاق الصغير، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق الأكبر بالتفصيل، و بكلّ مهارة وإخلاص. والملحوظ أنّه لم يذكر الاشتقاق الأكبر بالاسم نفسه، بل ذكره في الباب الثالث، معنوناً إيّاه بـ ''أثر تركيب المعنى على تقريب الحروف'' وهذا الباب في تركيب الحروف، وبيّن فيه كيفية نشوء المعنى بتركيب الحروف العربية، فبحث في هذا الباب الاشتقاق الأكبر بدون تسميته بهذا الاسم. فذكر في هذا الباب أمثلة لإثبات دعواه؛ ومنها: اجتماع الهمزة والباء : تدل على النفور والبعد والتوحش. مثل :

أبّ ، أبت ، ابد ، أبر ، أبز ، أبس ، أبق ، ألّه عن الشئ ، أبي.

وهكذا تدل اجتماع الهمزة والزاى على: ضيق النفس.مثل:

أزء ، أزر المجلس، أزق صدره ، ازل ، أزم .

وتدل اجتماع الباء والدال ، على الابتداء والظهور . مثلاً :

بدء ، بدح بالسر ، بدر ، بدع . وغيرها من الأمثلة.(87)

والباب الرابع الّذي ردّ فيه سوفسطائية، كما ادّعى المؤلّف، أيْ نقد فيه رأي جرجي زيدان أنّ اللغة العربية ليست مادّتها الأصلية ثلاثية الحروف بل هي ثنائية الحروف. فمبطلاً رأيه أثبت أهمية الحرف الثالث، وأفرغ قوته المنطقية فقرّر الحرف الأول أى كلمة الفاء بالجنس البعيد، والثاني أي كلمة العين بالجنس القريب، وأما الثالث أى كلمة اللام فهي بمنزلة الفصل لتحقق النوع. (88)

في الباب السادس بيّن فلسفة الاشتقاق بنوعيه: الاشتقاق الصغير والكبير بحثاً فنّياً دقيقاً، وفيه يقول: إن بحث الاشتقاق الكبير يجعلنا أن نعترف أن الكلمة الموضوعة في اللغة العربية تكون ذات معنى ومفهوم، حتى لا تزال موضوعة في جميع تقاليبها، ولا يفوت المعنى الأصلي في أي تقليب من تقاليبها. ثم يقول في تعريف الاشتقاق الصغير: أخذ كلمة من كلمة بحيث يبقى المعنى الأصلى مع المادة وهيئة التركيب، مثل اشتق من ضرب: ضارب، ومضروب، ومضراب، ومضرب، ويضرب، وضرَب.

وفي الاشتقاق الكبير تبقى المادة دون هيئة التركيب، وتغيير هذا التركيب يسمى الاشتقاق. ومن بعد ذلك أوضح الفرق بين الاشتقاق الكبير والاشتقاق الصغير.

وأوضح الاشتقاق الكبير من خلال الأمثلة ، ومنها:

اشتقاق(ج ب ر) ، يشتق منها:1 جبر ، 2 جراب ، 3 بجر ، 4 بُرج و بَرَجَ ، 5.رجب، 6 ربج.

و (م ل ح) : 1 ملح ، 2 لمح ، 3 حلم ، 4 لحم ، 5 محل ، 6 حمل.

و (ع ل م) : 1 علم ، 2 لعم ، 3 ملع ، 4 لمع ، 5 معل ، 6 عمل.

وهكذا أتى بـ 32 مثالاً.(89)

*****

الهوامش

(1) عوامل تنمية اللغة: دكتور توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر. (ط. أولى: 1400هـ = 1980م) 79.

(2) دراسات في فقه اللغة: الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان. (ط. السادسة عشرة: 2004م) 180.

(3) فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، دار الفكر، دمشق. (ط. ثانية: 1383هـ = 1964م) 288 – 289.

(4) المصدر نفسه: 289 – 290.

(5) المصدر نفسه: 290.

(6) لسان العرب: ابن منظور الأفريقي (630 – 711هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. (ط.أولى: 1416هـ = 1996م) 167/7 (ش ق ق).

(7) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس ورفاقه، مجمع اللغة العربية، القاهرة – مصر. (ط.ثانية: 1392هـ= 1972م) 1 / 489 (شقّ)

(8) كتاب التعريفات : 27.

(9) كتاب الاشتقاق والتعريب: عبد القادر بن مصطفى المغربي، مطبعة الهلال بالفجالة– مصر (بدون رقم الطبعة: 1908م) 9.

(10) الاشتقاق: أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد (223 – 321هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان (ط. أولى: 1411هـ = 1991م) 26.

(11) الاشتقاق والتعريب: 14

(12) فقه اللغة: د. علي عبد الواحد وافي، شركة نهضة مصر، القاهرة . (ط.ثالثة: 2004م) 138.

(13) المصدر نفسه: الصفحة نفسها

(14) المزهر لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911هـ)، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. (ط.أولى: 1998م) 275/1.

(15) الاشتقاق والتعريب: 14 – 15.

(16) فقه اللغة لوافي: 139.

(17) المصدر نفسه: 139 – 140.

(18) المصدر نفسه: 140.

(19) المصدر نفسه: الصفحة نفسها

(20) الخصائص: أبو الفتح ابن جني، عالم الكتب، بيروت – لبنان. (بدون رقم الطبعة والتاريخ) 133/2.

(21) المصدر نفسه: 134/2.

(22) المصدر نفسه: الصفحة نفسها

(23) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب چلبى، نور محمد كارخانه تجارت، كراتشي – باكستان.(بدون رقم الطبعة وتاريخها) 102/1.

(24) الاشتقاق الأكبر في الأصول الخماسية يقبل مائة وعشرين انقلاباً (باحث).

(25) دراسات في فقه اللغة: 188.

(26) الخصائص: 138/2.

(27) المزهر: 275/1.

(28) دراسات في فقه اللغة: 211.

(29) المصدر نفسه: الصفحة نفسها

(30) الخصائص: 146/2.

(31) فقه اللغة لوافي: 142.

(32) المصدر نفسه: الصفحة نفسها

(33) المصدر نفسه: الصفحة نفسها

(34) المصدر نفسه: 143.

(35) لينظر: المزهر للسيوطى 276/1، ودراسات في فقه اللغة : 175.

(36) المزهر: 1 /276.

(37) فصول في فقه العربية : 294.

(38) ينظر: المعجم المفصل في الأدب للدكتور محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. (ط.أولى: 1413هـ = 1993م): 98– 99.

(39) ترجمته من كتابيه التاج المكلّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول 381 – 388، وأبجد العلوم 271/3 – 283، والأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي 168/6،167، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 358/3.

(40) العلم الخفاق من علم الاشتقاق: 3.

(41) المصدر نفسه: الصفحة نفسها

(42) أيضاً

(43) أيضاً، وينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (شق)

(44) العلم الخفاق من علم الاشتقاق: 3، وينظر: حاشية البناني على شرح المحلّي لمتن جمع الجوامع، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر. 280/1.

(45) العلم الخفاق من علم الاشتقاق:3.

(46) المصدر نفسه: الصفحة نفسها

(47) أيضاً

(48) المصدر نفسه: 3 – 4.

(49) المصدر نفسه:4، وليُنظر: أبجد العلوم: 62/2 – 63 (في العبارة خلل واضطراب)، وكشف الظنون: 101/1.

(50) العلم الخفاق من علم الاشتقاق 4. والعبارة منقولة عن كشف الظنون بدون النسبة إليه، لينظر: كشف الظنون: 101/1.

(51) العلم الخفاق من علم الاشتقاق 4 –5. والعبارة منقولة عن كشف الظنون بدون النسبة إليه، لينظر: كشف الظنون: 101/1.

(52) لينظر: العلم الخفاق من علم الاشتقاق: 5 – 8.

(53) لينظر: المصدر نفسه:8 –9.

(54) المصدر نفسه: 9 – 10.

(55) البُلغة في أصول اللغة: السيد محمد صديق حسن خان القنوجي، مطبعة الجوائب، القسطنطينية. (بدون رقم الطبعة: 1296هـ) 57 – 58 .

(56) المصدر نفسه : 58.

(57) المزهر: 275/1.

(58) البُلغة : 58.

(59) المصدر نفسه: الصفحة نفسها ، ولينظر: المزهر: 1/ 278 (قال السيوطي فيه: «وقال في الارتشاف ..»

(60) أيضاً (قال السيوطي في المزهر في هذا الموضوع: «قال في شرح التسهيل أيضاً: ..»

(61) أيضاً

(62) البلغة: 58– 59. ولعلّ الكتاب الّذي أشار إليه هو ''العلم الخفاق في علم الاشتقاق'' الّذي ذكرناه آنفاً. وأمّا العبارة السابقة فهي كما في المزهر: «قال الجواليقي في ''المعرب'' قال ابن السراج في رسالته في الاشتقاق: مما ينبغي أن يُحذَر كل الحذَر أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العَجَم، قال: فيكونُ بمنزلة من ادَّعى أن الطيرَ ولَد الحوت». (المزهر: 278/1)

(63) لِيُنظر: نزهة الخواطر : 1331/8 – 1332.

(64) فقه اللسان: كرامت حسين الكنتوري، مطبع نولكشور، لكنو (ط. ثانية: 1915م) 321/2.

(65) المقدمة من فقه اللسان ، 1/ صفحة العنوان.

(66) المصدر نفسه :2– 3

(67) المصدر نفسه: 3.

(68) المصدر نفسه: 80 – 127.

(69) المصدر نفسه: 80.

(70) المصدر نفسه: الصفحة نفسها

(71) المصدر نفسه: 81.

(72) المصدر نفسه:الصفحة نفسها

(73) المقدمة: 81.

(74) لتظر: المقدمة: 81 – 94 .

(75) المقدمة: 94.

(76) المقدمة: 94.

(77) لجميع هذه البحوث، لتنظر: المقدمة: 94 – 103.

(78) المقدمة: 103.

(79) المقدمة: 103.

(80) المقدمة: 103.

(81) لتنظر : المقدمة: 103 – 106.

(82) المقدمة: 107.

(83) المقدمة من فقه اللسان: 109 – 125.

(84) المقدمة من فقه اللسان: 125 – 127.

(85) لينظر، تذكرة علماء أهل سنت لمحمود أحمد قادرى (كانبور،1391هـ.) ص100.

(86) لينظر، تذكرة علماء أهل سنت لمحمود أحمد قادرى (كانبور،1391هـ.) ص101.

(87) لينظر: المبين : 80 – 82

(88) لينظر: المصدر نفسه: 85

(89) لينظر المصدر نفسه: 133 – 145.